

البداية والنهاية

موت الخليفة القائم بأمره .

لما افتصد في يوم الخميس الثامن والعشرين من رجب من بواسير كانت تعتاده من عام الغرق ثم نام بعد ذلك فانفجر فصاده فاستيقظ وقد سقطت قوته وحصل الإياس منه فاستدعى بحفيده وولى عهده عدة الدين أبي القاسم عبداً بن محمد بن القائم وأحضر إليه القضاة والفقهاء وأشهدهم عليه ثانياً بولاية العهد له من بعده فشهدوا ثم كانت وفاته ليلة الخميس الثالث عشر من شعبان عن أربع وتسعين سنة وثمانية أشهر وثمانية أيام وكانت مدة خلافته أربعاً وأربعين سنة وثمانية أشهر وخمسة وعشرين يوماً ولم يبلغ أحد من العباسيين قبله هذه المدة وقد جاوزن خلافة أبيه قبله أربعين سنة فكان مجموع أيامهما خمسا وثمانين سنة وأشهرها وذلك مقاوم لدولة بني أمية جميعها وقد كان القائم بأمره جميلاً مليحاً حسن الوجه أبيض مشرباً بحمرة فصيحاً ورعاً زاهداً أديباً كاتباً بليغاً شاعراً كما تقدم ذكر شيء من شعره وهو بحديثه عانة سنة خمسين وكان عادلاً كثير الإحسان إلى الناس وعغسله الشريف أبو جعفر بن أبي موسى الحنبلي عن وصية الخليفة بذلك فلما غسله عرض عليه ما هنالك من الأثاث والأموال فلم يقبل منه شيئاً وصلى على الخليفة في صبيحة يوم الخميس المذكور ودفن عند أجداده ثم نقل إلى الرصافة فقبوره يزار إلى الآن وغلقت الأسواق لموته وعلقت المسوح وناحت عليه نساء الهاشميين وغيرهم وجلس الوزير ابن جهير وابنه للعزاء على الأرض وخرق الناس ثيابهم وكان يوماً عصيباً واستمر الحال كذلك ثلاثة أيام وقد كان من خيار بني العباس ديناً واعتقاداً ودولة وقد امتحن من بينهم بفتنة البساسيري التي اقتضت إخراجهم من داره ومفارقتهم أهلهم وأولاده ووطنه فأقام بحديثه عانة سنة كاملة ثم أعاد إليه نعمته وخلافته قال الشاعر . . . فأصبحوا قد أعادوا نعمتهم . . . إذ هم قريش وإذ ما مثلهم بشر

وقد تقدم له في ذلك سلف صالح كما قال تعالى .

ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب وقد ذكرنا ملخص ما ذكره المفسرون في سورة (ص) وبسطنا الكلام عليه في هذه القصة العباسية والفتنة البساسيرية في سنة خمسين وإحدى وخمسين وأربعمئة .

خلافة المقتدي بأمره .

وهو أبو القاسم عدة الدين عبداً بن الأمير ذخيرة الدين أبي القاسم محمد بن الخليفة القائم بأمره بن القادر العباسي وأمه أرمنية تسمى أرجوان وتدعى قرة العين وقد أدركت خلافة ولدها هذا وخلافة ولديه من بعده المستظهر والمسترشد وقد كان أبوه توفي وهو حمل

فحين ولد ذكرا فرح به جده والمسلمون فرحا شديدا إذ حفظوا على المسلمين بقاء الخلافة في البيت القدرى لأن